الحاج تجارته فى السجن وهو فى الخارج . ان سعيد مقطوع من شجرة ، فلا أحد يزوره ولا احد يسأل عنه حتى بخطاب . ويستطيع الحاج ان يزوره مرتين كل شهر ، وأن يحمل له البضاعة وسعيد يمارس عمله ويسلم الارباح للحاج . كما أن من حق الحاج أن يرسل طرودا لسعيد دون أن يتحمل مشقة المجيء للزيارة . انها عملية سهلة ومربحة وستحقق للحاج دخلا يعوضه عن فقد الوظيفة وعن وقف الحال فى الدكان !.

وسرح الحاج تلك الليلة فى مشروع سعيد ولكن الخوف الوحيد ان يطمع سعيد فى أرباح الحاج محمود فيلطشها كلها ويرفض الدفع ، ولكن تجربة الحاج محمود مع سعيد تثبت العكس . فهو فى غاية الأمانة وظل يدفع ما عليه بانتظام ، صحيح ان هناك متأخرات لعدة أسابيع ولكن الذنب ليس ذنبه ، بل ذنب المساجين المفلسين الذين يرفضون الدفع .

على العموم هو مشروع جيد فقط لو اكتشف الحاج طريقة تضمن له حقوقه عند سعيد . هكذا همس الحاج محمود لنفسه وهو يتهيأ لصلاة العشاء فى زنزانته التى حرص على اطفاء النور داخلها حتى لا يزعجه حراس الليل بطلباتهم المتكررة .

ونام الحاج محمود فى تلك الليلة نوما هادئا مباركا ، وعندما استيقظ على ضجة المساجين ، كان الوقت ضحى ، والشمس تتسلق الأفق . والجو رائع ، ورائحة زهر البرتقال تفوح فى جو القناطر ، وتوضأ الحاج محمود وخطف ركعتين سريعتين ، وخرج ليشترى بعض الوقود ، فقد نفدت الكمية التى كانت لديه ، وكان محمود يلجأ فى مثل هذه الأعمال لسعيد . وعندما عرج الحاج على زنزانة سعيد اكتشف انها مغلقة ، فادرك أن سعيد ربما فى جولته المعتادة لجمع النقود المستحقة على المساجين . ولذلك راح يفتش عليه هنا وهناك دون أن يعثر له على اثر . وفجأة رأى احد أصدقاء سعيد يقطع الفناء فناداه الحاج وسأله عن سعيد ، وقال الرجل وهو يخط الخطى فى طريق الى حيث يريد :

ـ سعيد رحلوه النهاردة الصبح ، راح سجن قنا . ونزل الخبر على الحاج محمود كالصاعقة .

وانزوى الحاج محمود بعد هذا الحادث يلعق جراحه فى اكتئاب شديد . لقد تحمل المحاكمة والسجن وضياع المستقبل ولكنه لم يستطع أن يتحمل ضياع تجارته فى السجن ! وماذا يستطيع أن يقول لزوجته وكيف يبرر ما حدث له ؟.